# التوبة في نهج البلاغة

**م . م محمد حمزه صالح الخالدي**
مديرية تربية بابل
ثانوية المغفرة المختلطة

**مقاله تقدم بها طالب الدكتوراه**
**بأشراف الدكتور / محمد ميرى**
دكتور في جامعة طهران / كلية المعارف والفكر الاسلامي

البريد الإلكتروني Email : mohammedhamzasaleh11@gmail.com

**الكلمات المفتاحية:** التوبة – نهج البلاغة – الذنب – موانع التوبة – الإصلاح الروحي والأخلاقي.

**كيفية اقتباس البحث**
الخالدي، محمد حمزه صالح ، محمد ميرى ، التوبة في نهج البلاغة، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:١١ .

**هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر ( Creative Commons Attribution ) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.**

**مفهرسة في Indexed**
**IASJ**

**مسجلة في Registered**
**ROAD**

# ﴿ التوبة في نهج البلاغة ﴾

## Repentance in Nahj al-Balagha

**Mohammed Hamza Salih Al-Khalidi (Assistant Lecturer)**
Babil Directorate of Education
Al-Maghfirah Co-educational Secondary School

**under the supervision of Dr. Muhammad Miri**
a professor at the University of Tehran, Faculty of Islamic Studies and Thought

**Keywords** : Repentance - Nahj al-Balagha - Sin - Obstacles to Repentance - Spiritual and Moral Reform.

**How To Cite This Article**
Al-Khalidi, Mohammed Hamza Salih , Muhammad Miri, Repentance in Nahj al-Balagha,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November 2026,Volume:16,Issue 11.

**This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/**

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

**Abstract:**

This research examines the concept of repentance in Nahj al-Balagha as a central tenet of the doctrinal and ethical framework of Imam Ali ibn Abi Talib (peace be upon him). It explores its linguistic and terminological dimensions and clarifies its place within the Islamic faith as a path to returning to God and renewing the relationship between the servant and his Lord. The research analyzes the concept of repentance through Quranic verses and the words of Imam Ali (peace be upon him), highlighting that repentance is not merely a verbal declaration, but a comprehensive spiritual and behavioral transformation based on sincere remorse, a firm resolve to abandon sin, and the rectification of any transgressions in rights and obligations.

The research also sheds light on sin in Nahj al-Balagha, demonstrating that Imam Ali (peace be upon him) addresses repentance from the perspective of God's boundless mercy and justice, and that the opening of the door to repentance is a manifestation of divine kindness towards humankind, who were created weak and prone to error. The

research then addressed the pillars and conditions of repentance, such as sincere repentance, hastening to repent before death, and having good faith in God Almighty, clarifying that delayed repentance or repentance tinged with despair does not yield its desired results.

The research also discussed the effects of repentance on an individual's life, including forgiveness of sins, purification of the soul, divine protection, attaining God's love, and emerging from the darkness of sin into the light of guidance. It also discussed the obstacles to repentance that prevent a person from returning to God, such as hardened hearts, the temptations of Satan, despair, following desires, excessive hope, and heedlessness. The research highlighted Imam Ali's (peace be upon him) profound educational approach to addressing these obstacles. It concluded by explaining the ruling on repentance and its immediate legal obligation, based on the opinions of jurists, and then presented examples of the wisdom of the Commander of the Faithful (peace be upon him) that embody the philosophy of repentance as a reformative method for the individual and society.

**الملخص:**

تناول هذا البحث موضوع التوبة في نهج البلاغة بوصفها أحد المفاهيم المحورية في البناء العقدي والأخلاقي عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث تمّ الكشف عن أبعادها اللغوية والاصطلاحية وبيان موقعها في المنظومة الإيمانية بوصفها طريق الرجوع إلى الله تعالى وتجديد العلاقة بين العبد وربّه وقد عالج البحث مفهوم التوبة من خلال النصوص القرآنية وكلمات الإمام (عليه السلام)، مبرزًا أن التوبة ليست مجرّد قول باللسان، بل هي تحوّل روحي وسلوكي شامل يقوم على الندم الصادق، والعزم على ترك الذنب، وإصلاح ما فسد من الحقوق والواجبات.

كما سلط البحث الضوء على الذنب في نهج البلاغة، مبيّنًا أن الإمام علي (عليه السلام) ينطلق في حديثه عن التوبة من سعة رحمة الله وعدله، وأن فتح باب التوبة يمثل مظهرًا من مظاهر اللطف الإلهي بالإنسان، الذي خُلق ضعيفًا معرّضًا للخطأ. ثم تطرّق البحث إلى أركان التوبة وشروطها، كالتوبة النصوح، والمبادرة بها قبل الموت، وحسن الظن بالله تعالى، مبيّنًا أن التوبة المؤجَّلة أو المشوبة باليأس لا تُثمر آثارها المرجوّة.

وتناول البحث كذلك آثار التوبة في حياة الفرد من مغفرة الذنوب وتطهير النفس والستر الإلهي ونيل محبة الله، والخروج من ظلمات المعصية إلى نور الهداية كما ناقش موانع التوبة التي تعيق الإنسان عن الرجوع إلى الله كرين القلوب وتزيين الشيطان واليأس واتباع الهوى وطول

الأمل والغفلة مبرزًا معالجات الإمام علي (عليه السلام) لهذه العوائق بأسلوب تربوي عميق، واختُتم البحث ببيان حكم التوبة ووجوبها الشرعي الفوري مستندًا إلى أقوال الفقهاء ثم استعراض نماذج من درر حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) التي تُجسّد فلسفة التوبة بوصفها منهجًا إصلاحيًا للنفس والمجتمع.

**مقدمة:**

تُعدّ التوبة من المفاهيم المركزية في البناء العقدي والأخلاقي في الإسلام لما تحمله من دلالات عميقة تتصل بعلاقة الإنسان بربّه وبمسؤوليته الأخلاقية عن أفعاله وبإمكانية إصلاح الذات والعودة إلى جادة الصواب بعد الانحراف والخطأ، وقد أولى الإسلام هذا المفهوم عنايةً بالغة فجعل باب التوبة مفتوحًا على الدوام وربطها برحمة الله الواسعة وعدله كما أكّد على آثارها التربوية والاجتماعية في تهذيب السلوك الإنساني وبناء الفرد الصالح والمجتمع القويم.

ويأتي نهج البلاغة المنسوب إلى أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بوصفه أحد أهم المصادر الفكرية والأدبية في التراث الإسلامي ليقدّم رؤية متكاملة لمفهوم التوبة تتجاوز المعنى الشكلي أو اللفظي إلى مضمونها العميق بوصفها تحوّلًا داخليًا صادقًا وإصلاحًا عمليًا للنفس وعودة واعية إلى القيم الإلهية، فقد تناول الإمام علي (عليه السلام) التوبة في خطبه وحِكمه وكلماته القصيرة رابطًا إياها بمعرفة الله، ومحاسبة النفس، والندم الحقيقي، والعزم على عدم العود إلى الذنب، وردّ المظالم إلى أهلها.

وتتميّز معالجة التوبة في نهج البلاغة بطابعها الروحي والعقلي والأخلاقي في آنٍ واحد إذ لا يكتفي الإمام (عليه السلام) بالدعوة إلى التوبة بل يُحلّل أسباب الوقوع في الذنب ويكشف عن آثاره النفسية والاجتماعية، ويبيّن شروط التوبة المقبولة، محذّرًا من التوبة الشكلية أو المؤقتة التي لا تُحدِث تغييرًا حقيقيًا في السلوك كما يربط الإمام بين التوبة والعدالة الإلهية والاختيار الإنساني والوعي بالمسؤولية وهو ما يمنح هذا المفهوم بعدًا فكريًا عميقًا يستحق الدراسة والتحليل.

**أهمية البحث:**

تتجلّى أهمية هذا البحث في عدد من الجوانب:

١.تنبع أهمية البحث من كونه يتناول مفهومًا محوريًا في الفكر الإسلامي، ويعالجه من خلال مصدر تراثي أصيل هو نهج البلاغة.

٢.يبرز البحث التصور الإسلامي المتكامل للتوبة بوصفها فعلًا واعيًا ومسؤولًا لا يقتصر على الندم اللفظي بل يشمل إصلاح النفس والعمل والسلوك وهو ما يعزّز البعد الأخلاقي في حياة الفرد والمجتمع.

٣.يسهم البحث في إبراز دور التوبة في بناء الإنسان الصالح ومعالجة الانحرافات السلوكية وتحقيق التوازن النفسي والروحي استنادًا إلى رؤية الإمام علي (عليه السلام).

٤.تزداد أهمية البحث في ظل التحديات الأخلاقية والروحية التي يواجهها الإنسان المعاصر حيث تقدّم تعاليم نهج البلاغة نموذجًا عمليًا لإعادة بناء العلاقة بين الإنسان وربّه ونفسه والمجتمع.

٥.يضيف البحث مادة علمية تحليلية إلى الدراسات المتخصصة في نهج البلاغة ويشكّل مرجعًا للباحثين في مجالات العقيدة والأخلاق والفكر الإسلامي.

**أهداف البحث:**

١.بيان مفهوم التوبة في نهج البلاغة

٢.توضيح أركان التوبة وشروطها الحقيقية كما وردت في كلمات الإمام (عليه السلام) والنصوص القرآنية.

٣.التعريف بآثار التوبة الروحية والسلوكية في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية.

٤.تحليل أهم موانع التوبة وبيان خطورتها في إغلاق باب الرجوع إلى الله تعالى.

**منهج البحث:**

يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبّع نصوص نهج البلاغة المتعلقة بمفهوم التوبة، وجمعها وتصنيفها حسب موضوعاتها وسياقاتها المختلفة، ثم تحليل مضامينها للكشف عن أبعادها العقدية والأخلاقية والتربوية، وإظهار الرؤية الفكرية للإمام علي (عليه السلام) في معالجة التوبة.

**الدراسات السابقة:**

**-دراسة حسام غافل، وفاء الخفاجي (٢٠١٩)، بعنوان: مواعظ التوبة والاستغفار في نهج البلاغة.**

تتناول الدراسة موضوع مواعظ التوبة والاستغفار في نهج البلاغة، وهدفت إلى إبراز البعد الوعظي والتربوي في نصوص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبّع النصوص التي تناولت الذنب والتوبة والاستغفار، وبيان دلالاتها الأخلاقية والروحية، وتوصل الباحثان إلى أن نهج البلاغة يقدّم نموذجًا متكاملًا للوعظ الإصلاحي القائم على ترسيخ القيم الأخلاقية، والدعوة إلى إصلاح النفس والعودة إلى الله تعالى، مؤكدين أن التوبة والاستغفار يمثلان وسيلتين أساسيتين في تهذيب السلوك الفردي وتحقيق الإصلاح الاجتماعي.

**-دراسة محمد حمزة عباس(٢٠١٥)، بعنوان: التوبة والقبول" سلسلة العطاء والحرمان في نهج البلاغة".**

يتناول البحث مفهوم التوبة من خلال قراءة موضوعية وتأملية لنصوص الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، مركزًا على العلاقة بين توبة الإنسان وقبولها الإلهي بوصفها مظهرًا من مظاهر العطاء، في مقابل الحرمان الناتج عن الإصرار على الذنب حيث يبيّن أن التوبة في نهج البلاغة ليست مجرد قول باللسان، بل عملية روحية وسلوكية متكاملة تقوم على الندم الصادق، وترك المعصية، وإصلاح العمل، وأن قبولها مرتبط بإخلاص النية واستقامة السلوك، كما يبرز سعة رحمة الله وفتح باب الأمل أمام المذنبين، مؤكدًا أن القبول الإلهي يمثل انتقال الإنسان من حالة الحرمان الروحي إلى العطاء الرباني، بما يحقق له الطمأنينة والهداية، ويجعل التوبة وسيلة أساسية لإصلاح الفرد وبناء علاقته بالله على أساس الوعي والمسؤولية الأخلاقية.

**الإضافة العلمية والمنهج التحليلي في معالجة مفهوم التوبة في نهج البلاغة**

تتجلّى الإضافة العلمية لهذا البحث في كونه لا يقتصر على العرض الوصفي لنصوص التوبة في نهج البلاغة، ولا يكتفي بجمع الشواهد القرآنية والحديثية، بل يتجاوز ذلك إلى تقديم قراءة تحليلية تكشف عن البنية الفكرية والتربوية التي يقوم عليها مفهوم التوبة في خطاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث يُظهر البحث أن التوبة في نهج البلاغة ليست موعظةً عاطفية معزولة، ولا خطابًا أخلاقيًا جزئيًا، وإنما مشروع إصلاحي شامل يعالج جذور الانحراف في النفس الإنسانية، ويعيد بناء العلاقة بين الإنسان وربّه على أساس الوعي والمسؤولية والمحاسبة الذاتية.

كما تتمثّل الإضافة النوعية للبحث في إبراز التوازن الدقيق الذي أقامه الإمام (عليه السلام) بين البعد الوعظي والبعد العقلي في معالجة التوبة إذ لم يعتمد أسلوب الترهيب المجرد ولا اكتفى بإشاعة الرجاء دون ضوابط، بل قدّم خطابًا واعظيًا عقلانيًا يجمع بين التخويف من عواقب الذنب، وفتح أبواب الأمل بسعة الرحمة الإلهية، وهو ما يمنح التوبة بعدها التربوي العميق ويجعلها أداة فاعلة في تهذيب السلوك الفردي وتقويم المجتمع. وقد ظهر هذا بوضوح في تحليل موانع التوبة، حيث لم تُعرض بوصفها مجرد حالات نفسية، بل كأمراض أخلاقية وفكرية لها جذور معرفية، كالغفلة، وطول الأمل، واتباع الهوى، وسوء الظن بالله، وهي أمراض لا تُعالج إلا بإحياء الوعي، وتعميق البصيرة، واستنهاض الإرادة.

وعليه، فإن هذا البحث يُضيف إلى الدراسات السابقة بعدًا تحليليًا ومنهجيًا يتمثّل في قراءة التوبة في نهج البلاغة بوصفها منظومة فكرية أخلاقية متكاملة، تجمع بين الوعظ، والتشريع، والتربية، وتقدّم نموذجًا عمليًا لمعالجة أزمات الإنسان الروحية والأخلاقية في مختلف الأزمنة، وهو ما يمنح البحث قيمته العلمية والبحثية، ويجعله إسهامًا حقيقيًا في حقل دراسات نهج البلاغة والفكر الأخلاقي الإسلامي.

## المبحث الأول: مفهوم التوبة أركانها وشروطها

### المطلب الأول: مفهوم التوبة

**التوبة لغويًا:** التوبة مأخوذة من الفعل "تاب" أي عاد إلى الله ورجع إليه، وطلب المغفرة منه، قال تعالى: «وتوبوا إلى الله جميعًا»[١]، أي عادوا إلى طاعته، واستداروا عن معاصيهم، وندموا على ما فاتهم من الذنوب، وفي الحديث الشريف: «الندم توبة»[٢]. كما ورد عن الإمام علي (عليه السلام) قوله: «إن الندم على الشر يدعو إلى تركه»[٣]، ومن ذلك يتضح أن التوبة هي الرجوع من الذنب إلى الله تعالى. والتَّوْبةُ أيضا في اللّغة هي الرجوع من الذَّنْبِ، يقال: تابَ إلى اللَّه يَتُوبُ تَوْباً وتَوْبةً ومَتاباً: أَنابَ ورَجَعَ عن المَعْصيةِ إلى الطاعةِ، واسْتَتَبْتُ فُلاناً: عَرَضْتُ عليه التَّوْبَةَ مما اقْتَرَف، أَي: الرُّجُوعَ والنَّدَمَ على ما فَرَطَ منه، واسْتَتابه: سأَلَه أَن يَتُوبَ[٤].

**التوبة اصطلاحًا:** التوبة هي الرجوع إلى الله تعالى، مع العزم على عدم العودة إلى الذنب، ومصاحبة هذا العزم بالندم على ما فات، والاعتراف بالذنب باللسان، والإقلاع عنه بالفعل، ويقصد بها أيضًا الاستغفار بالقلب واللسان، والعمل على تعويض الحقوق، والابتعاد عن المعاصي[٥]، قال تعالى: «وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم»[٦]، في إشارة إلى أهمية المبادرة بالتوبة وقبولها من الله.

وقيل أيضًا: إنّ التوبة هي الندم على المعصية باعتبارها معصيةً لله تعالى، مقرونًا بالعزم على ترك العود إليها في المستقبل، إذ إنّ انتفاء هذا العزم يدلّ على عدم تحقّق الندم الحقيقي، لأنّ الندم الصادق يقتضي بالضرورة توجّه الإرادة إلى عدم تكرار[٧] .

### المطلب الثاني: أركان التوبة:

إنّ حقيقة التوبة تتمثّل في رجوع العبد إلى الله تعالى رجوعًا صادقًا، مقرونًا بالإقلاع عن المعاصي والانفصال عنها قولًا وعملًا ولا تتحقّق هذه الحقيقة على وجهها الصحيح إلا بالالتزام بشروط التوبة وأركانها إذ إنّ التوبة إذا لم تُصاحب بندمٍ حقيقي على الذنب الذي شكّل حجابًا بين العبد وربّه ولم تقترن بعزمٍ جازم على عدم العود إليه أصلًا ولم يتبعها سعيٌ جادّ لإزالة آثاره الباطنية والظاهرية، تبقى توبةً ناقصة غير مكتملة الأركان ويتجلّى هذا السعي في تفريغ الذمّة

من كلّ حقّ تعلّق بها سواء أكان حقًّا لله تعالى أم حقًّا للعباد إذ إنّ بقاء الحقوق دون أداء يحول دون اكتمال التوبة وثمارها المرجوّة قال تعالى:﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٨]، حيث قرن التوبة بالإصلاح العملي والبيان، دلالةً على أنّ التوبة الصادقة فعلٌ متكامل لا يقتصر على القول أو الشعور وحده.

وقد ورد في نهج البلاغة أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام سمع رجلًا يقول بحضرته: أستغفر الله، فقال له: «ثكلتك أمّك، أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العليّين، وهو اسمٌ واقعٌ على ستّة معانٍ»، ثمّ بيّنها بقوله: "أوّلها: الندم على ما مضى، والثاني: العزم على ترك العود إليه أبدًا، والثالث: أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم، حتّى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع: أن تعمد إلى كلّ فريضة عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها، والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان، حتّى يلصق الجلد بالعظم، وينشأ بينهما لحم جديد، والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة، كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله"[٩]

ومن خلال هذا البيان العميق لأمير المؤمنين عليه السلام، يمكن استخلاص أنّ للتوبة ركنين أساسيين، وشروطًا مكمّلة تحفظ لها صدقها وكمالها:

- فالركن الأوّل هو الندم على الذنب، وهو الشعور الداخلي الصادق الذي يولّد النفور من المعصية.
- أمّا الركن الثاني فهو العزم على ترك الذنب وعدم الرجوع إليه، وهو ترجمة عملية للندم القلبي، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه العلاقة بقوله:«إنّ الندم على الشرّ يدعو إلى تركه»[١٠].

وبذلك تتكامل التوبة بوصفها موقفًا إيمانيًا وسلوكًا عمليًا يعيد الإنسان إلى طريق الطاعة، ويؤهّله لنيل آثارها الروحية والأخلاقية، ويجعله جديرًا برحمة الله تعالى وقبوله.

**المطلب الثالث: شروط التوبة**

للتوبة شروط تتحقق من خلالها وهي:

**أولاً: أن تكون توبة نصوحاً:**

يقصد بالتوبة النصوح أن يعزم الإنسان عزماً جازماً على الإقلاع عن الذنب وعدم العود إليه مطلقاً إذ إن الندم الصادق على المعصية يُعدّ جوهر التوبة، كما أن الاعتراف بالخطأ فضيلة أخلاقية تمهّد لطريق الإصلاح وقد دعا القرآن الكريم إلى هذا النوع من التوبة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾"[١١] .



مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ١١

ومن أبرز شروط التوبة صدق النيّة والإرادة الحاسمة على ترك الذنوب التي اقترفها الإنسان، سواء أكانت من الكبائر أم من الصغائر التي صدرت عن جهل أو غفلة وفي هذا المعنى يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الذنوب الداء، والدواء الاستغفار، والشفاء أن لا تعود»[١٢]، مشيراً إلى أن حقيقة الشفاء الروحي لا تتحقق إلا بقطع الصلة بالذنب.

وعليه، فإن صدق التوبة يتجلّى في عدم الرجوع إلى المعصية، لأن التوبة ليست مجرد ألفاظ تُقال باللسان، بل هي موقف داخلي صادق يقوم على تطهير النفس من الرذائل، ورفض كل أشكال التلوّث الباطني، والسعي الجاد إلى إصلاح السلوك وبناء الإنسان من الداخل.

**ثانيا : التوبة قبل الموت**

قال الإمام علي عليه السلام محذِّرًا وموقظًا للضمائر: «أفلا تائبٌ من خطيئته قبل منيّته»[١٣]، في دعوةٍ صريحة إلى المبادرة بالتوبة وعدم تأجيلها إلى اللحظات الأخيرة من العمر.

فالإنسان إذا داهمه الموت وانكشفت له حقيقة الدنيا وزوالها قد يستولي عليه اليأس وينتابه الخوف فيلتفت حينئذٍ إلى التوبة بعد طول غفلة، بعدما قضى حياته غير مبالٍ بذكر الله ولا بما ارتكبه من الذنوب غير أن هذه التوبة، التي تفرضها رهبة الموت لا صحوة الوعي، لا تعبّر عن ندمٍ صادق ولا عن إرادةٍ حقيقية للإصلاح، وإنما هي توبة اضطرار لا اختيار، ولهذا قرر القرآن الكريم أن هذا النوع من التوبة غير مقبول، فقال تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾[١٤]، تأكيدًا على أن التوبة المقبولة هي ما كانت في زمن الاختيار والقدرة، لا عند انقطاع الأمل وزوال التكليف.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في قصة فرعون:﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا، حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾[١٥]، إنّ الله سبحانه وتعالى عليمٌ بما تنطوي عليه النفوس في اللحظات التي تستشعر فيها قرب الأجل، حين تنكشف الحقائق وتتجلّى الوعود الإلهية التي طالما ذُكِّر بها الإنسان من أمر الموت والمعاد ففي تلك اللحظات يدركون صدق كلام الله، ويتبيّن لهم ما جاءت به الرسل من إنذار وهداية، فيلتفتون إلى التوبة بعد أن غابت عنهم زمن الاختيار غير أنّ هذه التوبة لا تكون مقبولة، لأنها لم تنبع من ندمٍ صادق وإرادةٍ حرة وإنما جاءت بعد معاينة القدرة الإلهية والخضوع القهري لها، لا عن وعيٍ اختياري وإصلاحٍ حقيقي وهؤلاء يشبهون حال المجرمين يوم الحشر، إذ يقفون بين يدي الله أذلّاء منكّسي الرؤوس، قال تعالى:﴿**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ**﴾[١٦].

ورُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يقول: «ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجلٍ يزداد كلَّ يومٍ إحسانًا، ورجلٍ يتدارك منيّته بالتوبة، وأنّى له بالتوبة»[١٧]، في إشارةٍ بليغة إلى أن الخير الحقيقي في الدنيا لا يتحقق إلا بالعمل الصالح المتواصل أو بالمبادرة الصادقة إلى التوبة قبل فوات الأوان.

**ثالثاً: حسن الظن بالله**

يُعدّ حسن الظن بالله تعالى من الشروط الأساسية للتوبة الصادقة إذ لا يليق بالعبد أن يسيء الظن بربٍّ كريمٍ رحيم يحب لعباده الخير ويفتح لهم أبواب الرجوع والإنابة ويمهلهم لعلّهم يعودون إلى رشدهم ويتوبون إليه فمهما عظمت الذنوب وتكاثرت الخطايا فإن رحمة الله أوسع وهو التواب الرحيم الذي يقبل التائبين، فاعلم أن مجرّد العزم الصادق على التوبة والصدق في طلب المغفرة كفيل بأن يجعل العبد موضعًا لرحمة الله، فإن الله يكون عند حسن ظن عبده به وقد رُوي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إن آخر عبدٍ يُؤمر به إلى النار يلتفت، فيقول الله جلّ جلاله: اعجلوه فإذا أُتي به قال له: عبدي، لمَ التفتَّ؟ فيقول: يا رب، ما كان ظنّي بك هذا. فيقول الله جلّ جلاله: عبدي، ما كان ظنّك بي؟ فيقول: يا رب، كان ظنّي بك أن تغفر لي خطيئتي وتدخلني جنّتك، فيقول الله جلّ جلاله: ملائكتي، وعزّتي وجلالي وآلائي وارتفاع مكاني، ما ظنّ بي هذا ساعةً من حياته خيرًا قط، ولو ظنّ بي ساعةً من حياته خيرًا ما روّعته بالنار، أجيزوا له كذبه وأدخلوه الجنة»[١٨].

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: «ما ظنّ عبدٌ بالله خيرًا إلا كان الله عند ظنّه، وما ظنّ به سوءًا إلا كان الله عند ظنّه به»، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿**وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**﴾[١٩].

**المبحث الثاني: التوبة بين آثارها الروحية وموانعها السلوكية وحكمها**

**المطلب الأول: آثار التوبة**

إنّ كل عملٍ يرضاه الله تعالى ينعكس أثره إيجابًا على حياة الإنسان وتُعدّ التوبة من أعظم هذه الأعمال أثرًا ونفعًا إذ تترك بصماتٍ عميقة في حياة التائب وتمتد آثارها إلى الدنيا والآخرة معًا وللتوبة ثمار كثيرة تعود على صاحبها بالخير والطمأنينة، ومن أبرز آثارها ما يأتي:

**١. مغفرة الذنوب وتبديل السيئات حسنات**

من أعظم آثار التوبة الصادقة أن الله تعالى يغفر بها الذنوب والخطايا فإذا تاب العبد توبةً نصوحًا، شملته مغفرة الله ورحمته، قال تعالى:﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٢٠].

ولا يقتصر أثر التوبة على محو الذنوب فحسب بل يتعدّى ذلك إلى منزلة أرفع وهي أن يُبدِّل الله السيئات حسنات تفضّلًا منه ورحمةً بعباده، كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[٢١].

**٢. تطهر الإنسان من دنس الذنوب**

تُسهم التوبة الصادقة في تطهير الإنسان من أدران الذنوب وتُنقّيه من آثارها وتُبعده عن دنس الشيطان ووساوسه إذ إن الله تعالى يحب العبد الطاهر والطهارة نقيض الرجس، والرجس مفهومٌ جامعٌ لكل ما يُستقذر من الأعمال ويشمل الذنوب والآثام والوساوس والسلوكيات التي تُفسد الإنسان وتُظلم قلبه ومن هنا جاءت التوبة لتكون وسيلةً إلهية لتخليص الإنسان من هذه الأدران وإعادة صفاء القلب ونقاء النفس، وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قوله: «إن التوبة مطهّرةٌ من دنس الخطيئة»[٢٢].

كما قال أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: «التوبة تطهّر القلوب وتغسل الذنوب»[٢٣]، في دلالة واضحة على الأثر العميق للتوبة في تزكية النفس وإصلاح الباطن قبل الظاهر.

**٣. الستر**

يُعدّ الستر من أعظم آثار التوبة وأجلّ ثمارها إذ إن التوبة في حقيقتها قائمة على ستر الله تعالى لعباده فالله يستر ذنوب التائبين في الدنيا والآخرة وينجيهم من الفضيحة والخزي، ولا سيّما في ذلك اليوم العظيم الذي تُكشف فيه الأسرار وتُعرض فيه أعمال العباد بين يدي الله ، وقد رُوي عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا تاب العبد توبةً نصوحًا أحبّه الله فستر عليه». قال: فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: «يُنسي ملكيه ما كانا يكتبان عليه، ويوحي الله إلى جوارحه وإلى بقاع الأرض أن اكتمي عليه ذنوبه، فيلقى الله عزّ وجل حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيءٍ من الذنوب»[٢٤]، وتكشف هذه الرواية عن عظمة رحمة الله بالتائبين إذ لا يقتصر ستره على محو الذنب فحسب بل يتجاوز ذلك إلى إزالة كل شاهد عليه فيلقى العبد ربَّه وقد شملته الرحمة الإلهية والستر الكامل.

**٤. حب الله للتائبين**

إنّ التوبة ترفع صاحبها إلى منزلةٍ رفيعة إذ تجعل التائب محبوبًا عند الله تعالى، وقد صرّح القرآن الكريم بهذه المنزلة العظيمة في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾[٢٥].

وروى معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا تاب العبد توبةً نصوحًا أحبّه الله»[٢٦].

ومن أحبه الله تعالى شملته رحمته ولم يكن موضعًا للعذاب، بل صار محلًّا للاستغفار والدعاء من ملائكة الرحمن، كما جاء في قوله عزّ وجلّ: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[٢٧].

كما بيّن الله تعالى أن باب التوبة مفتوح حتى لأصحاب الذنوب العظيمة، وأن من تاب وآمن وأصلح بدّل الله سيئاته حسنات، فقال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[٢٨].

وجاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «التائب حبيب الله، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له»[٢٩]، في تأكيدٍ واضح على سموّ منزلة التائب عند الله، وما يناله من محبةٍ ومغفرةٍ ورحمة.

**٥. <u>الخروج من الظلمات إلى النور</u>**

إنّ التوفيق للتوبة نعمةٌ عظيمة بها يُخرج الله تعالى عبده من ظلمات المعاصي والضلال إلى نور الهداية والاستقامة وقد أكّد القرآن الكريم هذا المعنى في قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[٣٠].

وعليه، فإن الإنسان لا يستطيع التحرر من ظلمات الذنوب وآثارها إلا من خلال التوبة الصادقة، إذ بها يُشرق نور الحق في قلبه، ويهتدي إلى الطريق المستقيم ومن هنا، فإن الواجب على العبد أن يُقلع عن جميع المعاصي، ويُقبل على الله تائبًا، ليُضيء الله له درب الهداية، ويثبّته على سبيل الحق.

**المطلب الثاني: موانع التوبة**

١- **رَيـنُ القلـوب:** عندما تتكاثر الذنوب وتتتابع المعاصي وتستولي الشهوات على الإنسان، تتكاثف الظلمات في قلبه شيئًا فشيئًا حتى يتكوّن على القلب ما يُعبَّر عنه بـ«الرَّين»، وهو غشاوة روحية تحول دون إدراك الحق والاستجابة للهدى وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣١]، أي إن ما اقترفوه من الآثام تراكم حتى صار حجابًا يحول بينهم وبين نور الإيمان.

٢- **التزيين:** من أخطر موانع التوبة أن يقوم الشيطان بتزيين سوء العمل للإنسان، فيقلب له الموازين ويشوّه معايير الحق حتى يرى الباطل حقًّا مع وضوح فساده، ويتصوّر الانحراف سلوكًا عقلانيًا صائبًا لا غبار عليه، بل يعتقد أنه الخيار الأنسب من جميع الوجوه وفي هذا السياق يحذّر القرآن الكريم من هذا الأسلوب الشيطاني بقوله تعالى: ﴿وَزُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[٣٢]، حيث يبيّن أن التزيين سبب مباشر للضلال والحرمان من الهداية.

وقد عبّر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن هذه الحالة بأبلغ بيان، إذ قال في وصف من استسلم للشيطان: «اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكًا، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكًا، فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ، وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ، فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ، وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ»[٣٣].

ويكشف هذا النص عن مدى تغلغل الشيطان في كيان الإنسان حين يستسلم له حتى يصبح أداةً ينظر بها وينطق على لسانها فينقاد إلى الزلل ويُزيَّن له الباطل ومن هنا يكون التزيين حجابًا كثيفًا يحول بين العبد وبين التوبة، لأنه يفقده القدرة على تشخيص الذنب والاعتراف به. ولذلك جاء في الدعاء المأثور طلبُ البصيرة والتمييز: «اللهم أرني الحق حقًّا وارزقني اتباعه، وأرني الباطل باطلًا وارزقني اجتنابه»[٣٤]، لما في هذا الدعاء من كسرٍ لحجاب التزيين وفتحٍ لطريق الرجوع الصادق إلى الله تعالى.

٣- **اليأس من رحمة الله:** يُعدّ اليأس من رحمة الله تعالى من الذنوب الكبرى وهو في الوقت نفسه من أخطر الموانع التي تحول بين العبد وبين التوبة الصادقة إذ ينشأ غالبًا من كثرة الذنوب وتراكم المعاصي، حتى يستولي على الإنسان وهمُ أن ما اقترفه من آثام بلغ حدًّا لا يُغفر معه فيتصوّر أن رحمة الله لا تشمل حاله لقبح أفعاله وعِظم تقصيره، غير أن هذا التصوّر يناقض صريح الوحي الإلهي، فقد خاطب الله عباده خطابَ رجاءٍ وأملٍ، مؤكدًا سعة رحمته وشمول مغفرته، فقال في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٣٥].

وتكشف هذه الآية بوضوح أن القنوط ليس وليد الذنب نفسه بل ثمرة الجهل بحقيقة الأسماء الإلهية وبأن الله سبحانه هو الغفّار الرحيم التوّاب الذي يقبل رجوع عباده مهما عَظُم تقصيرهم إذا صدقت توبتهم.

وقد أكّد القرآن هذا المعنى في موضع آخر، محذرًا من الاستسلام لليأس، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[٣٦]، فدلّ ذلك على أن اليأس

يتنافى مع الإيمان الحق، ويغلق على الإنسان باب العودة إلى الله، بينما المعرفة الصحيحة بسعة الرحمة الإلهية تُحيي في القلب الأمل، وتفتح الطريق أمام التوبة والإنابة.

٤- **اتباع الهوى:** يُعدّ اتباع الهوى من أبرز العوائق التي تحول بين الإنسان وبين التوبة إذ إن من يُعرض عن الشريعة الإلهية ويجعل أهواءه ورغباته ميزانًا لأفعاله ينحرف عن طريق الحق ويبتعد عن سبيل الهداية فيقع في الغفلة والضلال من حيث لا يشعر فالهوى حين يُتَّبع يصبح مصدرًا للعمى القلبي، وحاجزًا يحول دون مراجعة النفس والرجوع إلى الله تعالى، وقد نبّه القرآن الكريم إلى خطورة هذا المسلك، مبيّنًا أن الإعراض عن الحق ليس إلا ثمرةً لاتباع الأهواء، فقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣٧].

كما شدّد سبحانه على النهي عن الانقياد للهوى لما يترتب عليه من ضلالٍ عن الصراط المستقيم، فقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[٣٨].

وفي هذا الإطار، حذّر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) من الآثار المدمّرة لاتباع الهوى، فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ: اتِّبَاعُ الْهَوَى، وَطُولُ الْأَمَلِ؛ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ...»[٣٩]، وتدل هذه النصوص مجتمعة على أن اتباع الهوى يطفئ نور البصيرة، ويقود إلى الغفلة عن الحساب والآخرة، فيكون بذلك من أعظم الموانع التي تصدّ الإنسان عن التوبة الصادقة والإنابة إلى الله تعالى.

٥-**طول الأمل:** يُعدّ طول الأمل من أخطر الموانع التي تحول بين الإنسان وبين التوبة إذ إن من يربط آماله بالدنيا الزائلة وينشغل بزخارفها ولذّاتها تُلهيه عن محاسبة نفسه والاستعداد للآخرة، حتى يستغرق في المعاصي وهو غافل عن عواقبها فطول الأمل يُفضي إلى التسويف، ويجعل الإنسان يعيش بلا وعيٍ حقيقيٍ بالمصير، فيقدّم رغباته الآنية ويُقنع نفسه بأن باب التوبة مؤجَّل إلى زمنٍ قادم قد لا يأتي، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا اللون من الغفلة بقوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٤٠]، حيث يبيّن أن الانغماس في المتاع مع الاستسلام لطول الأمل يقود في النهاية إلى الندم والخسارة.

وفي كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) تحذيرٌ واضح من هذا السلوك، إذ يقول: «ولا تكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل، ويؤخّر التوبة بطول الأمل»[٤١].

وقال (عليه السلام) أيضًا: «وأمّا طول الأمل فيُنسي الآخرة»[٤٢].

وتكشف هذه النصوص أن طول الأمل يميت الإحساس بقرب الحساب، ويُفرغ الموعظة من أثرها، فلا يعود للنصح وقعٌ في القلوب التي علّقت آمالها على الدنيا، وأغرقتها الأماني البعيدة، فكان ذلك سببًا في الصدّ عن الحق، ومانعًا حقيقيًا من التوبة والإنابة إلى الله تعالى.

٦-**الغفلة:** تُعدّ الغفلة من أعظم الموانع التي تحول دون التوبة وضدّها اليقظة القلبية التي تُوقظ الإنسان من سباته الروحي فالإنسان الغافل لا يستحضر التوبة في وعيه، ولا يشعر بالحاجة إلى طلبها، لانشغاله عن نفسه وربّه، وانصراف قلبه إلى الدنيا وشهواتها، واتباعه لرغبات النفس، مع نسيان ما أنعم الله به عليه من نعمٍ لا تُحصى، وقد بيّن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن منشأ الغفلة يعود إلى اتباع الهوى وطول الأمل، ودعا إلى علاجها بالوعي والعزم، فقال: «فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقْظَةٍ»[٤٣]، حيث يؤكد (عليه السلام) يؤكد أن الغفلة مرضٌ قلبيّ لا يُعالج إلا بالإرادة الصادقة والتنبه الدائم.

كما كشف (عليه السلام) عن دور الشيطان في تعميق الغفلة، إذ قال: «والشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ، يُزَيِّنُ لَهُ الْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا، وَيُمَنِّيهِ التَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا، فَإِذَا هَجَمَتْ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا، فَيَا لَهَا حَسْرَةً عَلَى كُلِّ ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً»[٤٤].

وتوضح هذه الكلمات أن الغفلة تجعل الإنسان يؤجّل التوبة حتى يفاجئه الموت وهو في أشدّ حالات الإعراض، فتتحول أيام عمره إلى شاهدٍ عليه لا له، ومن هنا كانت اليقظة القلبية شرطًا أساسًا لكسر الغفلة، وفتح باب التوبة، والعودة الصادقة إلى الله تعالى.

**المطلب الثالث: حكم التوبة**

إذا ارتكب الإنسان معصيةً وهو بالغ عاقل، عالم بحرمة ما صدر منه، غير واقع تحت الاضطرار أو الإكراه، فإنّ فعله يُعدّ عصيانًا شرعًا، وتثبت في حقّه وجوب التوبة فالتوبة في هذه الحالة ليست أمرًا مستحبًا أو اختياريًا، بل هي تكليف شرعي لازم يجب المبادرة إليه دون تسويف، وقد صرّح الفقهاء بوجوب التوبة تصريحًا واضحًا ومن ذلك ما ذكره الإمام الخميني في تحرير الوسيلة، حيث أكّد أنّ التوبة من الذنب من الواجبات الشرعية، فقال: «من الواجبات التوبة من الذنب، فلو ارتكب حرامًا أو ترك واجبًا تجب التوبة فورًا، ومع عدم ظهورها منه وجب أمره بها، وكذا لو شُكّ في توبته، وهذا غير الأمر والنهي بالنسبة إلى سائر المعاصي، فلو شُكّ في كونه مقصّرًا، أو عُلم بعدمه، لا يجب الإنكار بالنسبة إلى تلك المعصية، لكن يجب بالنسبة إلى ترك التوبة».

ويُفهم من هذا النص أنّ وجوب التوبة فوري، ولا يسقط بالتأخير، كما أنّ ترك التوبة بحدّ ذاته يُعدّ موردًا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى في الحالات التي لا يجب فيها الإنكار

على أصل المعصية. وهذا يؤكّد المكانة المحورية للتوبة في البناء التشريعي والأخلاقي في الشريعة الإسلامية، بوصفها الطريق الإلزامي للعودة إلى الطاعة واستدراك ما فات.

ومن درر حكم أمير المؤمنين في التوبة نذكر:

تزخر كلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بحِكَمٍ عميقة تُجلي حقيقة التوبة وآثارها الروحية والأخلاقية في حياة الإنسان، وتكشف عن مكانتها بوصفها طريق العودة إلى الله تعالى وتجديد الصلة به فقد أكّد عليه السلام في مواضع متعددة أن التوبة ليست مجرّد لفظٍ يُقال، بل هي تحوّل داخلي شامل ينعكس على القلب واللسان والجوارح معًا، نذكر منها[٤٥]:

١.التوبة تستنزل الرحمة: فالتوبة كما يعبّر الإمام تستنزل الرحمة الإلهية، إذ يفتح الله بها أبواب فضله ولطفه لعباده، ويغمرهم بعنايته حين يصدقون في رجوعهم إليه.

٢.– التوبة تطهر القلوب وتغسل الذنوب: وهي كذلك تطهّر القلوب وتغسل الذنوب فتزيل آثار المعاصي من النفس وتعيد لها صفاءها ونقاءها بعد أن علقتها أدران الخطايا.

٣.التوبة ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح وإضمار أن لا يعود: يبيّن عليه السلام أن حقيقة التوبة تقوم على الندم الصادق بالقلب، والاستغفار باللسان، وترك الذنب بالجوارح، مع العزم الجازم على عدم العود إليه، فبهذا التكامل تتحقق التوبة الحقيقية المقبولة.

٤.التوبة تمحص السيئات: ومن آثار التوبة العظيمة أنها تمحّص السيئات وتكفّر الذنوب، أي تُنقّي صحيفة الأعمال وتحوّل ظلمات المعصية إلى نور الطاعة.

٥.التوبة تكفر الذنوب: كما يلفت الإمام إلى أن ثمرة التوبة هي استدراك فوات النفس، أي تعويض ما ضاع من العمر في غير مرضاة الله، وإعادة توجيه الحياة نحو الخير والعمل الصالح.

٦.بادروا في محل البقية وأنف المشية وانتظار التوبة وانفساح الحوبة: ويحثّ أمير المؤمنين عليه السلام على المبادرة إلى التوبة قبل فوات الأوان، فيدعو الإنسان إلى اغتنام فرصة البقاء في الدنيا قبل انقضاء الأجل وضيق الوقت، لأن التسويف وانتظار التوبة قد يحرمان المرء من هذه النعمة العظيمة.

٧.حسن التبة يمحو الحوبة: ويؤكد في موضع آخر أن حُسن التوبة يمحو الحوبة، أي أن صدق التوبة وإخلاصها كفيلان بمحو آثار الذنب وتبعاته، وفتح صفحة جديدة مع الله تعالى قائمة على الطاعة والإنابة.

وهكذا تتكامل كلمات الإمام عليه السلام لتقدّم تصورًا شاملًا للتوبة بوصفها منهجًا إصلاحيًا للنفس، ووسيلة للسمو الروحي، وطريقًا للنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

**الخاتمة:**

خلص البحث إلى أن التوبة في نهج البلاغة ليست مفهومًا هامشيًا أو وعظيًا مجرّدًا بل هي منهج متكامل لإصلاح الإنسان وبنائه روحيًا وأخلاقيًا يقوم على الوعي بالذنب والاعتراف بالتقصير والانطلاق نحو التغيير الحقيقي في السلوك والعمل وقد كشف الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من خلال كلماته عن عمق فلسفي وتربوي في فهم التوبة، إذ ربطها بالمسؤولية، وردّ الحقوق، ومجاهدة النفس، وعدم الاغترار بسعة الرحمة دون عمل.

كما بيّن البحث أن التوبة باب مفتوح ما دام الإنسان في زمن الاختيار، وأن أخطر ما يهدد هذا الباب هو الغفلة، واليأس، واتباع الهوى، وطول الأمل. ومن هنا، تتجلّى دعوة الإمام (عليه السلام) الدائمة إلى المبادرة وعدم التسويف، لأن العمر رأس مال الإنسان، والتوبة هي الطريق الأضمن لاستثماره في مرضاة الله تعالى.

وفي ضوء ما تقدّم، يمكن القول إن نهج البلاغة قدّم تصورًا متكاملًا للتوبة بوصفها حركة وعي ورجوع وإصلاح، لا مجرّد حالة شعورية عابرة، وبوصفها أساسًا للنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، وهو ما يجعل هذا التراث الأخلاقي مصدرًا حيًّا وملهمًا لمعالجة أزمات الإنسان الروحية في كل زمان.

**الهوامش**

[١]– سورة النور، الآية (٣١).

[٢] – أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤ هـ)، مسند ابي داود الطيالسي، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م.

[٣] – الكافي، ٢/ ٤٢٧، الإيمان والكفر، باب الاعتراف بالذنوب والندم عليها، رقم ٧.

[٤] – إبن منظور، لسان العرب: ج١، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩. ص ٢٣٣.

[٥] – عبد الحميد ابن باديس، التعريفات، تحقيق احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ، ٢٢٤/١.

[٦] – سورة البقرة، الآية (١٢٨).

[٧] – بحار الأنوار: ج٦، ص٤٣.

[٨] – سورة البقرة، الاية (١٦٠).

[٩] – نهج البلاغة، الكلمات القصار، رقم٤١٧

[١٠] – الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصادر الحديث الشيعية . قسم الفقه، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ج١٦، ص٦٧.

[11]– سورة التحريم، الآية (٨).
[12] – ميرزا حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ١٢٩ ، باب وجوب اخلاص التوبة.
[13] – نهج البلاغة، الخطبة: ٢٨، ج ١، ص٦٧.
[14] – سورة النساء، الآية ١٨.
[15] – سورة يونس، الاية ٩٠.
[16] – سورة السجدة، الاية ١٢.
[17] – الكافي، ج٨، ص ١٢٨، ح ٩٨.
[18]– الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٣١، ح٧
[19] – سورة فصلت، الآية ٢٣.
[20] – سورة طه، الاية (٨٢).
[21] – سورة الفرقان، الاية( ٧٠).
[22] – الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٢٤، ج ٢٤.
[23] – الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ١٢٩، باب وجوب اخلاص التوبة
[24] – الكافي ، ج٢، ص ٤٣١، ح١، باب التوبة
[25] – سورة البقرة، الاية( ٢٢٢).
[26]– الكافي، ج٢، ص ٤٣٠، ح١، باب التوبة.
[27] – سورة غافر، الاية(٧–٩).
[28] – سورة الفرقان، الايات( ٦٨–٧٠)
[29] – جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج ٣، ص ٥١
[30] – سورة البقرة، الاية ( ٢٥٧).
[31] – سورة المطففين، الاية (١٤).
[32] – سورة التوبة، الاية (٣٧).
[33] – نهج البلاغة ، الخطبة ٧، ج١، ص ٤٣.
[34] – الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٦، ص ٢٦١، ح٥.
[35] – سورة الزمر، الاية (٥٣).
[36] – سورة يونس، الاية ( ٨٧).
[37] – سورة القصص ، الاية (٥٠).
[38] – سرة ص ، الاية (٢٦).
[39] – نهج البلاغة، الخطبة ٤٢، ج١، ص ٨٥، في النهي عن اتباع الهوى
[40] – سورة الحجر، الاية ( ٣).

[٤١] – نهج البلاغة، الحكمة: ١٥٠/ ج٤/ ص ٥٣٥.

[٤٢] – نهج البلاغة، الخطبة ٤٢، ج ١، ص ٨٥، في النهي عن اتباع الهوى وطول الامل.

[٤٣] - نهج البلاغة، الخطبة ٢٢١، ج٢، ص ٣٧٢.

[٤٤] - نهج البلاغة، الخطبة ٦٤، ج١ ، ص ١٠١.

[٤٥] – عبد الواحد الامدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلام، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، .حرف التاء، ص ١١١.

**المصادر:**


–القران الكريم

–إبن منظور، لسان العرب: ج١، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩.

–أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤ هـ)، مسند ابي داود الطيالسي، تحقيق محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م.

–الحر العاملي، وسائل الشيعة، مصادر الحديث الشيعية . قسم الفقه، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ج١٦، ص٦٧

–الشيخ الكليني، الكافي ، ج٢، ص ٤٣١، ح١، باب التوبة

–الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ١٢٩، باب وجوب اخلاص التوبة، ١٩٨٨.

–جامع السعادات، محمد مهدي النراقي، ج ٣، ص ٥١

–حسام غافل، وفاء الخفاجي، مواعظ التوبة والاستغفار في نهج البلاغة، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد ١٠٤، المجلد ٢٥ ، ٢٠١٩.

–عبد الحميد ابن باديس، التعريفات، تحقيق احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٦هـ، ٢٢٤/١.

–عبد الواحد الامدي التميمي، غرر الحكم ودرر الكلام، تصحيح: الشيخ حسين الأعلمي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، .حرف التاء.

–نهج البلاغة، تحقيق محمد عبده، الحكمة ٤٣٠، ج ٤، ص ٥٩١، نهج البلاغة خطب الإمام علي (ع) – ج ٤ – الصفحة ١٠٢.


**•Sources:**


**–The Holy Quran**

–Ibn Manzur, Lisan al-Arab: Vol. 1, Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1999.

–Abu Dawud al-Tayalisi, Sulayman ibn Dawud ibn al-Jarud (d. 204 AH), Musnad Abi Dawud al-Tayalisi, edited by Muhammad ibn Abd al-Muhsin al-Turki, Dar Hajar, Egypt, 1st edition, 1419 AH/1999 CE.

– -Al-Hurr al-Amili, Wasa'il al-Shi'a, Shi'a Hadith Sources - Jurisprudence Section, edited by: Al al-Bayt Foundation for the Revival of Heritage, vol. 16, p. 67

–Al-Kulayni, Al-Kafi, vol. 2, p. 431, hadith 1, chapter on repentance

–Mirza al-Nuri, Mustadrak al-Wasa'il, vol. 12, p. 129, chapter on the obligation of sincere repentance, 1988

−Jami' al-Sa'adat, Muhammad Mahdi al-Naraqi, vol. 3, p. 51

−Abd al-Hamid Ibn Badis, Al-Ta'rifat, edited by Ahmad Shams al-Din, Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1416 AH, 1/224

−Abd al-Wahid al-Amidi al-Tamimi, Ghurar al-Hikam wa Durar al-Kalam, edited by: Sheikh Hussein al-A'lami, Al-A'lami Publications, under the letter Ta'. - Nahjul Balagha, edited by Muhammad Abduh, Wisdom 430, Vol. 4, p. 591, Nahjul Balagha, Sermons of Imam Ali (AS) - Vol. 4 - Page 102.